محاضرة : مجالات النقد النفساني للسنة الثالثة LMD :

أول مايلفت انتباه الباحث هو تعدد مجالات النقد النفساني بين رواية كما سبق و أن درسنا ، وبين شعر و أجناس أدبية كثيرة ولا غرابة أن تتشكل هذه النصوص الابداعية في بنيتها من عالم نفساني ، يزعزع الكتابة التقليدية ، ويحاور نفسية القارئ و المحلل بدرجة أولى .

فالجانب النفساني هو من يكسر تلك الحدود الشائعة بين الأجناس الأدبية ، فالنصوص الإبداعية تنفتح على بعضها البعض ، بطريقة لا شعورية ،و تتحول الأجناس الأدبية إلى فضاءلت تفاعلية هكذا بات النص يتوق لتلك الأحاسيس و المشاعر التي لا تخرج عن الأساليب السردية و الشعرية الجديدة ،و يمكن أن نحدد مجالات النقد النفساني باعتباره أحد الأساليب التنقيبية فيما يلي :

النقد النفسي و الشعر :

لا نبالغ عندما نذكر **" أحلام مستغانمي"** بأنها شاعرة القصيدة الجديدة العربية في المغرب العربي ((رغم عمر تجربتها الأدبية بمجموعتين شعريتين : الأولى صدرت عن الشركة الوطنية للنشر و التوزيع سنة 1972 تحت عنوان على مرفأ الأيام ، و المجموعة الثانية صدرت عن دار الآداب بيروت في شهر شباط فبراير سنة 1976تحت عنوان : الكتابة في لحظة عري)) [1]

تقف الشاعرة أحلام مستغانمي كغيرها من الشعراء الشباب أمثال أزراج عمر، و أحمد حمدي ،وعبد العالي رزاقي وهم اللذين تزعموا الجزائر في تيار الحداثة .

استمدت الشاعرة مواضيعها من معاناتها اليومية ، و انفعالاتها مع ما يحدث في هذا العالم المملوء بالكتب و الفرح و الموت و الولادة و الصراع و باختصار ((فإن أحلام تصرخ بملء فيها : إنني بينكم ، و أينما كنتم فأنا ضللكم العنيد)) [2].

لقد كتبت الشاعرة عن وطنها . و أنشدت له طويلا ((كتبت عن الفلاح ، و هو يزرع الأرض قمحا وشعيرا ، عن الطفل وهو مبكر إلى المدرسة، وعن العامل ساعيا نحو معلمه، و تغنت بأعياد الوطن)) [3] خاطبت **"أحلام مستغانمي "** القراء العرب بكل شاعرية فحاولت أن تلامس نفسية العربي على وجه العموم ،و الجزائري على وجه الخصوص و أي خطاب ؟خطاب الثورة المجيدة التي باتت الأشهر في العالم تقول :

---

[1] شريبط احمد شريبط : دراسات و مقالات في الأدب الجزائري الحديث ،منشورات المكتبة الوطنية، 2007 .ص 103

[2] المرجع نفسه، ص 102

[3] نفس المرجع، ص 103

توزعي على خريطة العالم المنهار

كوني رغيفا لجياع افريقيا

وبندقية في الشيلي

و فدائيا على حدود الجولان

وغطاء في البنغلاداش

و تأميما في صحراء العرب

تعتبر الجزائر قطعة من إفريقيا ، وقد عبر عنها الاستعمار الفرنسي ببوابة القارة السمراء ، وقد اعتبرتها الشاعرة نفسيا المعجزة التي تحققت على صدر إفريقيا و فعلا قد وصفتها بذلك :

أيتها المعجزة الممتدة على صدر افريقيا

أيها الحلم الذي يخرج من الذاكرة ليسكن ألف قرية اشتراكية

ليكبر على سواعد الطلبة ، و هم يتطوعون بالآلاف لحماية الثورة ، وبعد ذلك لاحظت أحلام الشاعرة أن الوضع انقلب بعد الاستقلال ((ولعل فرنسا قد وجدت بديلا لأكثر من 80 ألف مغترب ، يعملون الأعمال الشاقة التي يرفضها المواطن الفرنسي العادي أن يقوم بها)) . [1]

البعد النفسي في شعر أحلام :

أحلام تكلمت من منبر وطني قبل أن يكون شعري ،هي أيضا نددت ،و احتجت ،و بكت و كانت قصائدها نفسية بامتياز نتنسم منها دعوة للهوية ، عودة المغتربين ، أبناء الوطن الرائع حتى ولو منحتهم فرنسا الكثير، تقول الشاعرة :

منحتهم فرنسا شوارعها المتسخة

فتوزعوا على خارطة الجوع ، يجمعون القمامة ، و يكنسون زبالة الناس المحترمين " الأوروبي أشرف من أن يقوم بمثل هذه المهن القذرة لقد سقط خمسة عشر جزائريا هذا الصباح في مرسيليا .

وسقط قبلهم العشرات في ظروف اغتيال بشعة.

ذنبهم أنهم يحملون هوية الأرض المعجزة .

---

[1] المرجع السابق ص 104

الأرض تحطمت عليها أسطورة فرنسا المعجزة .

فلترتفع الأيدي تحية للبدل الزرقاء

وللأيدي القوية الخشنة

وضد الاستغلال

دائما ضد الاستغلال

تمثل هذه العقيدة التي تنتمي إلى دائرة المعاناة النفسية ، نموذجا صريحا يتفاعل مع ما يحدث في فرنسا ، تقوم الشاعرة مقام المدافع عن الجزائريين اللذين يستغلون أيما استغلال ، لم تقف أحلام عند معاناة الجزائريين فقط ، بل راحت تنتصر للقضية الفلسطينية تقول في قصيدتها**" كلمات خجلي لرجال رائعين** " :

مخجل أن أكتب عنكم و أنتم تموتون

جل أن أتحدث باسمكم عن الثورة و أنتم تسقطون

مخجل أن أكون في سريري الليلة و رمادكم لم يجمع بعد من الساحة العمومية

لأن التاريخ لا يكتب من الشوارع – النقية

و من واجهات – الإغراء – بشارع الحمراء

وأنا من المدن القصديرية أيضا

ومن مخيمات الفلسطينيين .

تجب الملاحظة هنا أن الشاعرة **"أحلام مستغانمي"** كثيرا ما تقع وجها لوجه مع الكتابة التي تعلن عبرها ، الكثير من المواقف التي تغامر بها الشاعرة لتصبح حديث العام و الخاص

غير بعيد عن الشاعرة **"أحلام مستغانمي** "تتصادف و الشاعر" **عبد العالي رزاقي"** صاحب ديوان " **الحب في درجة الصفر** " صدر هذا الديوان الشعري في أواخر سنة 1977 ، عن المطيعة الوطنية للنشر و التوزيع ، وقد كتب تقديم هذا الديوان الدكتور **"عبد الله الركيبي "**، تقع المجموعة الشعرية في مائة و سبعة و ستين صفحة .

القارئ الفطن لهذه المجموعة الشعرية يكتشف تعلق الشاعر بلغة الفحول ، وقد تتسامى النفسية أمام تلك الألفاظ العربية الرائدة في القاموس الجاهلي ((هابيل ، الشنفرى، .....) ، ارتبط الشاعر بلغة الأجداد ،و قد أرجعه الحنين إلى ذلك العهد بكتابة قصيدته التي يقول فيها :

أخي لماذا لا ننزع عن وجوهنا الغطاء

ننفض كالإعصار

على قصور الأغنياء

لعلنا ندرك ما خلق الستار

أخي .....

أخي الطالب و العامل و الفلاح

تعال نبحث عن إطار

عن مبدأ يقاوم التيار

تعال .... هذه يدي أمدها إليك من جزائر الثوار

هلم نتحد

يداك في يدي إلى الأبد

وهو بهذا يكون قد مد نفسيا تلك المشاعر الأخوية العرقية لأخيه الجزائري حتى يذكره بالرابطة المقدسة .

البعد النفسي في الشعر " عبدالقادر فيدوح " أنموذجا:

يمثل الأدب الجزائري ((صفحة هامة من الأدب العربي ، و لئن حالت الظروف دون نشر هذه الصفحة و إلقاء الضوء عليها)) [1] غير أن ((الحزن و الألم ، و الحرمان ، و الاضطهاد ، و القيد)) [2] كانت أهم التيمات التي تترافق و الكيان الشعري الجزائري اليوم ، ولعل أهم من يمثل هذا الكيان **"عبد القادر فيدوح** "الذي جعل من كتابه مفتاحا ((لفهم الكثير من سلوكنا و نشاطنا ، و أخلاقنا و مشكلاتنا ، و أمراضنا النفسية و الاجتماعية المختلفة)) [3]

تتجدد فاعلية الحركة النقدية في استكناه الذات المبدعة من خلال التعامل مع النصوص الإبداعية بكل أبعادها ، مستهدفة بذلك الغوص في الأسرار النفسية لهذه الذات المبدعة ، وذلك من خلال التركيبة اللغوية و غير اللغوية التي تندرج ضمن مكونات التجربة المعيشية التي ينطلق منها المبدع في كتابة نص من نصوصه .

لقد تناول **"عبد القادر فيدوح"** في كتابه : **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي** مواضيع جد هامة حتى يضع الباحث أمام الصورة الحقيقية لهذا النقد يقول: ((بأن الأبعاد النفسية في القصيدة الحديثة هو المحور الذي رافق تحول العملية الإبداعية للقصيدة المعاصرة و قد أظهر لنا النقد المعاصر أن الدخول في سبر أغوار الذات المبدعة

[1] أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب .الجزائر. ط5 ، 2007 ، ص21

[2] نفس المرجع، ص 85

[3] فرج الله عبد القادر طه و آخرون : معجم علم النفس و التحليل النفسي ،دار النهضة العربية. بيروت. ط1 ، ص 07

، و استقرائها أمر مشروط لإبراز معالم هذا التحول الابداعي ... تعامل الشاعر المعاصر معه بوصفه أداة يعبر بها عن تجربته المشوبة بالانفعال و الشاعر عبر دخوله في هذا العالم يخوض رحلة شاقة في فضاء اللاوعي يسقط فيه نزعاته الخفية ،و يستجلي من خلاله مشاعره الدفينة)) [1]

يحاول الشاعر عل حد قول "**عبد القادر فيدوح** " أن يجد العزاء و السلوى في الكتابة الشعرية ،ولقد اهتم **"عبدالقادر فيدوح"** بالجانب النقدي النفسي اهتماما بالغا و قد يلمح الباحث هذه الأهمية من خلال أهم النقاط التي تمركز حولها فكره ، و التي يمكن أن نجملها في الآتي :

- الملامح النفسية في النقد العربي ، و قد خصص هذا الجانب للنقد العربي القديم .
- عملية الإبداع ناتج عن تلك الصلة التي تجمع الانفعال النفسي و العمل النفسي.
- تتشكل مثيرات العواطف لعملية الإبداع أثناء الكتابة .
- أهمية العقل الباطن في عملية الإبداع .
- الرؤية السيكولوجية لعملية الإبداع وقد ربط هذه الرؤية بالتحليل النفسي عن فرويد ،و بالشعور بالدونية عند ادلر، و ما يسمى بالإسقاط عند يونغ ،و الحدس عند برجون .مشيرا إلى محاولات جادة نفسية أخرى
- الإبداع الشعري في النقد العربي عند علماء النفس.
- الإبداع و الشخصية.
- الممارسة النفسية في النقد العربي الحديث .

لقد اهتم كثيرا فيدوح بهذا الجانب النفساني المظلم في الكيان الشعري وقد تحدث عن **عباس محمود العقاد** وكيف تناول **ابن الرومي** برؤية نقدية نفسية ، وقد شخصه نفسيا و بيولوجيا فوصفه ب ((الإنسان المختل الأعصاب الضعيف البنية)) [2] وقد أشار العقاد إلى رؤية الشاعر السوداوية فوصفها بدوافع التطير و أرجعها بقوله إلى ((أن مصدرهما وجهان أساسيان هما : مرض الخوف و اختلال الأعصاب ،و هما حدثان مرتبطان بالذات في تكوينها النفسي و البيولوجي)) [3] وذلك في مثل ما يقول ابن الرومي :

أخاف على نفسي و أرجو مفازها

وأستار غيب الله دون العواقب

ألا من يريني غايتي قبل مذهبي

ومن أين الغايات بعد المذاهب

---

[1] عبدالقادر فيدوح : الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، دراسة ، دار صفاء للطباعة و النشر و التوزيع عمان الاردن ، ص15

[2] عبدالحي المودن خطبة الوداع منشورات مركز تواصل الثقافات الرباط 2003 ص37 38

[3] عبدالحي المودن خطبة الوداع منشورات مركز تواصل الثقافات الرباط 2003 ص37

لقد اهتم **عبد القادر فيدوح** أيما اهتمام بتجسيد التجربة الشعورية على الكتابة الأدبية حيث اعتبر عالم النفس ((مظهر من مظاهر الشعر العربي الحديث ، وهو يستجيب في ذلك لمتطلبات الضمير الإنساني ، نتيجة الصراع المحتوم في الذات بين العالم الداخلي و العالم الخارجي ، وهو ما تفاعل معه الشعر تفاعلا عميقا ، وقد جعل الحركة الشعرية تكتسب قيما فنية و جمالية جديدة ، كانت موضع تأملات النقاد في بحثهم عن الرؤيا الشعرية و أسئلتها الجوهرية الملازمة لقضايا الإنسان و همومه)) [1]

إنّ مشروعية اختيار **عبد القادر فيدوح** لموضوع الاتجاه النفسي و علاقته بنقد الشعر، قد تأسست في فترة كان طموح الناقد و كل أقرانه بها أكبر من أن تدون مقولاتهم النقدية في كتب عربية خالصة .

[1] عبدالقادر فيدوح الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ص 211